« زخارف عربية »

فيلم تسجيلى فى عشرين دقيقة

(ناطق باللغات العربية والانجليزية والفرنسية)

اخـــــراج : عبد القادر التلمسانى
تصويـــــر : حســن التلمســانى
مونتـــــاج : عبد العزيز فخــرى
سيناريـــو : حســن سليمـــان
تعليـــــق : صـــلاح حافـــظ
موسيقـــــى : سليمـــان جميـــل
مهندس الصوت : كمـــال عبد اللـــه
انتاج سنة ١٩٧٤

الموضـــوع :

عن فنون الزخرفة العربية فى العمارة الإسلامية والمآذن والقباب وأعمال الخشب والرخام والصدف والزجاج المعشق .. فى الآثار الإسلامية والقصور الأثرية .

وقد نال هذا الفيلم الجائزة الأولى فى التعليق .. فى مهرجان الافلام التسجيلية والقصيرة الذى نظمته وزارة الثقافة عام ١٩٧٥ .

التعليـــق :

● المساجد إطار صُنع من فن رفيع لعقيدة تقود الإنسان إلى رحاب النور .. إنها همزة الوصل التى ترد الإنسان ــ عبر الفن ــ إلى عالم المطلق .. تلاشى الجزء فى الكل .. راحة للنفس ترتبط فيها قيم الفن الرفيع بمعنى العقيدة والإيمان .. إنها أماكن تعرج إليها النفوس الحائرة كلما ضلت أو أنهكتها الحياة .

● رعلى جدران المساجد صمت وهمس.. صمت حجارة الجدران المتراصة فى مساحات خالية من زخرفة أو كتابة.. أما الهمس فهو همس الفن الرفيع.. همس الذين أرادوا التعبير لمن يأتون بعدهم.. فن أحسن استخدامه. فأكد معنى كبيراً وحسا للصمت والسكون.. انها دندنة هادئة زادت من غنى الفراغات والجدران الصماء من حولها.

● والزخارف الإسلامية فى علاقتها بالجدران المعمارية تكوّن فناً خالدا أصيلاً دائماً يفيض.. مهما أطلنا إليه النظر.. كل ساعة له رؤية جديدة.. أنه فن ترصيع السكون والفراغ واللانهائية.

● تستقبلك من المساجد مداخل تعزلك عن الطريق الصاخب الذى أتيت منه بكل ما فيه من تزاحم على العاديات ومشاكل الحياة اليومية.. تنعطف بك فى ممرات ذات اليسار وذات اليمين.. أنها عملية نفسية.. تحضير للنفس.. تمهيد قبل أن يستقبلك ثانية النور.. نور الشمس.. لكنه نور الصفاء.. نور العقيدة.. نور الفن.. وكأن الممرات وظيفتها التمهيد لهذا النور.. تحضير المتعبد كى يتواجد فى خشوع ورهبة.. انها عزل ضوءين عن بعضهما.

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

« صدق الله العظيم ».

إن هدف تجويف القبلة هو هدف معمارى.. ولكن له وظيفة أخرى.. فالجدار المسطح يشتت صوت الإمام فى الصلوات التى يجهر فيها بصوته. وهى الفجر والمغرب والعشاء وصلاة الجمعة.. ووجود التجويف أمام الإمام يجمع الصوت ثم يرجعه دويا وصدى يرتد إلى مسامع المصلين يهتدون به لتتبع الامام.

● القنديل والمشكاة فى المسجد وسيلة للإضاءة تبعث على الورع والخشوع وترمز لمعنى كبير.. وقد حفل القرآن الكريم بالآيات التى ترتبط بالظلمة والنور:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾

« صدق الله العظيم ».

يتضاءل الإنسان من ظلمة المسجد أو مواجهاً للضوء فيه.. ويتضاءل الإنسان مع هذه الاشتقاقات والتنويعات الزخرفية الهندسية رغم دقة حجمها.

ومع أصابع الفنان نخشع للقدرة الخلاقة التى وهبها الله سبحانه وتعالى وديعة يتوارثها الإنسان جيلا بعد جيل.

● من أشهر مميزات الزخرفة فى الفن الإسلامى ما يسمى بالمقرنص.. جزئيات تتحامل على بعضها لتحمل عقدا أو عتبا أو أركان قبلة.. هو فى معناه البسيط دعامة مركبة فى اشتقاقات هندسية قد تكون بسيطة أو معقدة. وهذا يتوقف على شكل الجزء.. لكن المقرنص قد نجده فى بعض الأحيان لا يؤدى وظيفته كدعامة.. وإنما استخدم كنوع من الزخرفة كما فى المآذن.

● الزخرفة التى فى أعلى العقود يظهرها الضوء منعكسا ومرتدا من الأرض المضيئة بنور الشمس وهذه الزخارف النباتية منفصلة كلية عن مثيلاتها من زخارف القرون الوسطى.. فقد استمدت قوانينها من إيقاع الخط العربى لأنها متممة له.

● ومن مميزات الزخرفة الإسلامية الاشتقاقات الهندسية التى ترجع إلى نزعة صوفية تجريدية رياضية تذهب أخيراً إلى المطلق وتعتمد على علاقة وميلاد الجزء من الكل.. والكل من الجزء.. وتسمى بنزعة الحلولية.. فلا غرابة أن نرى الزخرفة الإسلامية تعتمد على اشتقاقات تتوالد من بؤرة أو مركز أو مصدر يتوالد إلى مالا نهاية.

● هكذا تبدو المرئيات من الداخل.. مصفاة للضوء حتى لا يقتحم المكان فى حدة.. وكأنك تراه من خلال أفرع وريقات الشجر.. لكنه ينساب وفق نظام بديع وصارم لفن رفيع.

● حتى الأرضيات.. يرتبط بها وقع الأقدام مع إيقاع الخطوط والمساحات.. كل شىء منغم.. وكل شىء موشّى وكأنه لحن يتردد.. فخفف الوطء على المنمنمات.. فهى تفيض بالذكريات.

● وإذا ارتفع البصر إلى السقف.. فهناك زخارف تظللك وتأخذك فى سياحة من اشتقاقات موسيقية لا آخر لها.. تحددها وحدة متكاملة.. الوحدة المتكاملة للمكان.

هكذا كانت تبدو بيوتنا ومساجدنا من قديم.. الضوء يدخلها كل صباح وتنحسر عنها الظلال.. أنه الضوء يتحدى الظلمة.. وهو الذى حدد مفهوم عقائدنا ومفهوم فنوننا.

● الضوء يصارع كى ينفذ إلى الظلام.. وحتى فى المسجد الواحد تختلف النوافذ المصنوعة من الزجاج والجص عن بعضها البعض فى نقشها وزخرفتها.. إما لأن الأيدى التى صاغتها متعددة.. وكل واحدة منها لها مذاقها الخاص.. وشخصيتها.. أو لأن الفنان الإسلامى أراد أن يتفوق على نفسه ويثبت غناه الفنى وتنوعه وتعدده رغم خضوعه لقانون هندسى واحد.. إنها صفة التجويد التى عرف بها الفنان الإسلامى على مر العصور.

● تسابيح.. وابتهالات.. مرتبطة ومنتظمة فوق بنيان صلب.. قُدّ من الحجر.. فتخفف من حدة الحجارة المصفوفة.. ولقد ظلت القباب مع المآذن سواء أكانت فى مسجد أو فى مدرسة أو ضريح.. رمزاً للفن الإسلامى عبر تاريخه حتى الآن.

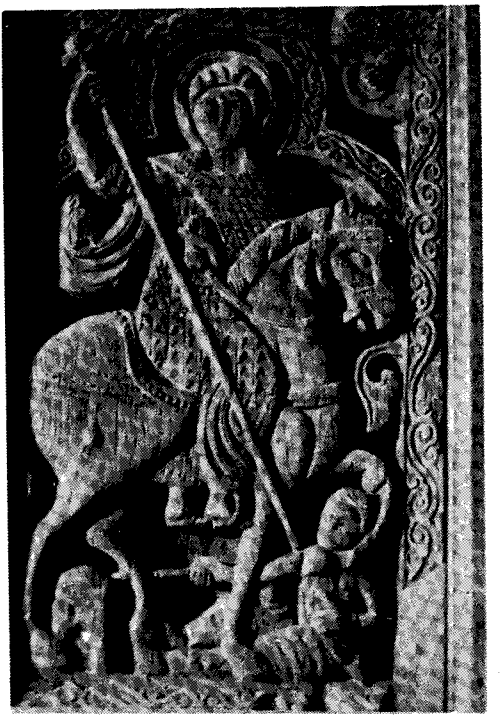

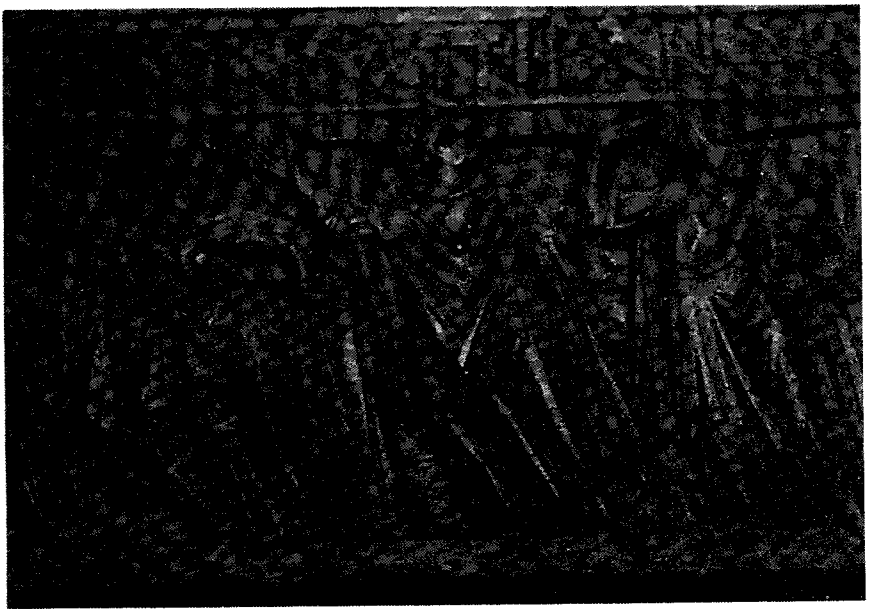

من الفيلم التسجيلى : زخارف قبطية